تقرير

خليل حرب
khalilharb66@gmail.com

"سيوف النار" للمرّة الأولى ضدّ عاصمة خليجية نتنياهو يغدُر بقطر: نحن "إسبرطة" العصر

الهجوم الإسرائيلي على العاصمة القطرية الدوحة في 9 ايلول 2025 اثار صدمة اقليمية ودولية لم تكن متوقعة، وأسقط المفاهيم حول السيادة، والوساطة، والتوازنات الدقيقة التي تنظم علاقات دول الخليج مع العالم، واشنطن تحديدا، لكن الاكثر خطورة يتعلق بالمدى الذي صارت اسرائيل تذهب اليه، بذريعة الدفاع عن نفسها

لم يكن الاعتداء الاسرائيلي على الدوحة عملا عسكريا عاديا، وقد جاء بالتزامن مع سلسلة اعتداءات اسرائيلية طاولت في غضون ساعات، كلا من قطر، ولبنان، وسوريا وتونس، اضافة الى عملية التدمير والابادة الممنهجة الجارية في غزة.

كما لم يسبق ان بلغت العنجهية الاسرائيلية هذا المدى الذي وصلت اليه، حيث انها هاجمت قطر، منتهكة سيادة واجواء دول عدة، وتحديدا سوريا والعراق والسعودية، للوصول الى هدفها في الدوحة وقصفه، ثم تباهت بتنفيذ هذا الهجوم، متوعدة بأنها مستعدة لتكراره ضد قطر او اي دولة اخرى تستضيف على اراضيها من تصفهم بـ"الارهابيين"، وهو ما يضع لبنان وسوريا والعراق ومصر وتركيا وايران واليمن، وربما غيرها من الدول، في دائرة الاستهداف الاسرائيلي المحتمل، ما يعكس ظاهرة لم يعهدها العالم بمثل هذه الصلافة.

ما جرى في الدوحة لم يكن مجرد غارة عسكرية غادرة وعابرة، بل حدث سياسي بامتياز، يطال ايضا مستقبل المفاوضات الفلسطينية - الاسرائيلية، ويصفع مبادرة السلام العربية المعتمدة في بيروت قبل اكثر من 20 سنة، ويضرب في صميم الدور الذي تلعبه قطر بوصفها وسيطا بين اطراف متنازعة، ويضع المنطقة كلها امام مرحلة جديدة من التوتر والتساؤلات.

كان من الواضح، وكما اعلن الاسرائيليون انفسهم، ان هدفهم كان موقع اجتماع قيادات من حركة حماس في احد المجمعات السكنية قرب محطة وقود في الدوحة، لكن القادة المستهدفين نجوا، وقتل 5 من اعضاء الحركة، اضافة الى ضابط امن قطري وعدد من المدنيين.

المهم ان الهجوم الذي حاولت ادارة دونالد ترامب التملص من المسؤولية عنه، او تبنيه تاييدا او تسهيلا، لم تندد به بشكل واضح، كما انها لم تتخذ اي اجراء واضح لمحاسبة اسرائيل على ارتكابها، خصوصا ان القطريين كانوا يفترضون ان دورهم اولا كوسطاء، وثانيا كمستضيفين لأهم قاعدة عسكرية اميركية في المنطقة بأكملها، سيؤمن لهم الحماية من اي اعتداء كهذا. هذه الطمأنينة ربما تكون قد سقطت الان.

الاخطر من كل ذلك، ان بنيامين نتنياهو بات يتعاطى مع اسرائيل وكانها "اسبرطة" العصر الحديث، وتحديدا كما قال بعد ايام من العدوان على قطر وبدء هجومه العسكرية الموسع على مدينة غزة وتدمير مبانيها، "سوبر اسبرطة"، اي انها دولة حرب دائمة، ومعسكرة بالكامل، واقتصادها تقشفي وحربي، والمواطن فيها جاهز للقتال دائما.

عملية "سيوف النار" التي وجهها للمرة الاولى في تاريخ الصراع العربي - الاسرائيلي، ضد عاصمة خليجية، اكسبته المزيد من التأييد في صفوف الاسرائيليين عموما حيث ايدها 75% من المستطلعين في صحيفة "معاريف"، وهي بالطبع تلقى تأييد احزاب اليمين الصهيوني

المتشدد التي تساند حكومته، لكن محاول قتل المفاوضيين الفلسطينيين في عاصمة استضافتهم والوسيط بينهم وبين الاسرائيليين والاميركيين، هز اركان الثقة والامان النسبيين في دول مجلس التعاون الخليجي، وفي مصر والاردن وتركيا.

صحيح ان العدوان على قطر اظهر سطوة اسرائيل، مجددا بعيدا من "حدودها" المفترضة، الا انه عراها سياسيا امام العالم بدرجة أكبر، بصفتها دولة تتصرف برعونة بلا ضوابط قانونية على مستوى العالم، وهو ما تبدى بالتحديد في مواقف الاستنكار التي صدرت عن العديد من الدول شرقا وغربا، الا ان الخيبة كانت على ما يبدو في نيويورك، حيث عقدت جلسة لمجلس الامن كان من المفترض ان تندد بوضوح باعتداء إسرائيل. لكن على ما يبدو بسبب الموقف الاميركي، لم يصدر قرار وانما بيان، انتقد الهجوم، من دون ان يسمي اسرائيل بالاسم.

كانت هذه محاولة اسرائيلية جديدة لاغتيال "الوسيط"، اي قطر التي تقود جهودا منذ عامين لوقف الحرب على غزة، مما اعاد التذكير بالاسلوب الاسرائيلي، باغتيال زعيم حركة حماس اسماعيل هنية في طهران عندما كان هناك "ورقة بايدن" لوقف اطلاق النار، وعندما جرى اغتيال الامين العام لحزب الله السيد حسن نصرالله عندما قدم لبنان موافقته على الورقة الاميركية لوقف اطلاق النار قبل عام، وعندما نفذت اسرائيل ايضا هجوما واسعا على ايران لاغتيال قيادتها، في الوقت الذي كانت تستعد فيه للذهاب الى جولة تفاوض نووية جديدة مع الاميركيين في سلطنة عمان.

فكرة دفاع اسرائيل عن نفسها لتبرير افعالها سقطت مجددا في الغارة على الدوحة لأن قطر لا تشارك في الحرب، وهي كما هو معروف، تستضيف حركة حماس على اراضيها، بناء على تفاهمات مع الاميركيين، لفتح قنوات تواصل معها، اسوة بما فعلته قطر سابقا باستضافة حركة طالبان الافغانية، بضوء اخضر اميركي.

> **الهجوم اكثر من مجرد غارة والمنطقة امام توتر وتساؤلات**

جاء رد الفعل القطري حادا، حيث وصف امير قطر الشيخ تميم بن حمد آل ثاني الهجوم بأنه عمل جبان وخيانة سياسية تهدف الى تعطيل مساعي الوساطة وتقويض فرص التوصل الى تسوية، مؤكدا ان بلاده لن تتراجع عن دورها، بل ستواجه هذا الاعتداء بديبلوماسية حازمة وتماسك وطني.

في ظل البلبلة التي اثيرت عما إذا كانت واشنطن ابلغت القطريين بموعد الضربة الاسرائيلية، الا ان قطر بددت هذه النظريات بالتأكيد على انها لم تتبلغ بالاتصال الاميركي معها بالضربة الى بعد وقوعها بدقائق، وهو ما اثار الكثير من التأويلات والقلق والتساؤلات حول جدوى العلاقة الامنية مع واشنطن، والمتجسدة خصوصا بوجود قاعدة العديد منذ تسعينات القرن الماضي.

وقد نجحت الديبلوماسية القطرية في حشد المزيد من التضامن مع الدوحة من خلال القمة العربية -الاسلامية التي استضافتها، بمشاركة 57 دولة، بحضور بارز لقيادات هذه الدول، والتي خرجت ببيان ختامي من ابرز نقاطه: التأكيد على التضامن الكامل مع قطر ورفض اي مساس بسيادتها؛ اعتبار الغارة تهديدا مباشرا للمساعي الديبلوماسية الرامية لوقف الحرب في غزة واطلاق الاسرى وبالتالي تهديدا للسلم الاقليمي؛ الدعوة الى مراجعة العلاقات مع اسرائيل، سواء على المستوى الديبلوماسي او الاقتصادي، اعتبار التطبيع غير ذي جدوى اذا كانت اسرائيل تتصرف بهذه الطريقة؛ والمطالبة بتحرك قانوني عبر الامم المتحدة والمحاكم الدولية لمساءلة اسرائيل على خرقها السيادة القطرية وتهديدها للمدنيين.

كانت غزة حاضرة في قمة الدوحة، ◄

◄ حيث وصف عدد من القادة ما يجري بالابادة او الجريمة ضد الانسانية، واعتبروا ان استهداف المفاوضين على ارض قطر يمثل فصلا جديدا من سياسة اسرائيل القائمة على تقويض اي مسعى سلمي. ورغم ارتباط بعض الدول الحاضرة بعلاقات مع اسرائيل، الا ان العديد من الحاضرين حذروا من ان الصمت او التهاون ازاء العدوان، قد يشجع اسرائيل على تكرار التجربة مع دول اخرى. في الخليج تحديدا، كانت المخاوف عالية بازاء الاختبار الحقيقي لقدرة مجلس التعاون الخليجي على التماسك والتصرف ككتلة واحدة حين يتعلق الامر بحماية السيادة.

وبينما بدت وسائل الاعلام العربية على اختلاف توجهاتها، موحدة في تصوير الغارة كاعتداء غير مسبوق يستهدف دولة خليجية في قلب المنطقة، فانه بالنسبة الى الفلسطينيين، شكلت الغارة ضربة لاحتمالات وقف إطلاق النار ووقف المذبحة التي ترتكبها اسرائيل، لأن الدوحة اعلنت تعليق جهود الوساطة، ولان العدوان طاول مقرا للتفاوض، كان يفترض انه محايد وآمن.

بالنسبة الى كثيرين، فان الغارة على الدوحة اكدت مجددا للفلسطينيين والعرب عموما، ان اسرائيل تفضل الحل العسكري وتخشى اي مسار سياسي قد يفرض عليها تنازلات. لكن في الوقت نفسه، عززت الحادثة صورة الفلسطينيين كضحايا ملاحقين حتى في اماكن التفاوض، وهو ما قد يكسبهم تعاطفا شعبياً أكبر في العالمين العربي والاسلامي.

وقد كان القطريون دقيقين عندما وصفوا العدوان الاسرائيلي بأنه تجاوز للخطوط الحمر. لكن القطريين وغيرهم من العرب وفي انحاء العالم، أدركوا بوضوح ايضا خلال العامين الماضيين ان إسرائيل - نتنياهو تتصرف بتهور وتفلت من اي

عواقب او محاذير، وتساهم في مفاقمة النزاع في المنطقة بضرب جهود التسوية.

اقليميا ايضا، فان الهجوم يعيد طرح التساؤل حول جدوى العلاقة العربية مع اسرائيل، حيث ان الدول التي مضت في مسار التطبيع تجد نفسها في مأزق، فهل يمكن الاستمرار بالوثوق باسرائيل كشريك اذا كانت لا تتردد في ضرب اي دولة عربية؟ لهذا، فانه من المحتمل، ومع وصول الحرب الى اكتمال عامها الثاني، واعلان اسرائيل النية لضم الضفة الغربية، وتهجير فلسطينيي غزة، فان كثيرين يتوقعون ان يدفع العدوان على قطر بعض هذه الدول الى مراجعة مواقفها او على الاقل تبريد علاقاتها مع تل ابيب.

لهذا، فان القمة العربية - الاسلامية في الدوحة، يفترض ان لا تكتفي ببيان التنديد الذي صدر عنها، ويفترض ان تتحول ربما الى نقطة بداية لاعادة ضبط السياسة العربية تجاه اسرائيل، لردعها عن تسليط قوتها العسكرية على السيادة العربية ودماء العرب.

اما بالنسبة الى دول مجلس التعاون الخليجي، فقد أصبح واضحا ان التحديات الامنية تتطلب اعادة التفكير في اليات الدفاع الجماعي والتنسيق الاستراتيجي، بحيث انه من غير الممكن الاعتماد بشكل مطلق على المظلة الاميركية، ليس فقط بسبب الغارة على الدوحة، وانما ايضا بعد تعرض قاعدة العديد الى قصف صاروخي ايراني في حزيران الماضي، بعدما قالت طهران ان القاعدة استعملت في العدوان الاميركي على الاراضي الايرانية.

اعطى الموقف الاميركي اشارت متباينة. فالتصريحات الرسمية اتسمت بدقة وحذر: الرئيس ترامب اكتفى بالقول انه "لم يكن سعيدا" بالطريقة التي نفذت بها العملية، وادعى انه لم يبلغ قبل بدء الضربة عمليا، وانه لا يعارض امن إسرائيل لكنه يرى ان ضرب دولة حليفة (قطر) بهذا الشكل ضروري ان يدرس بعناية، وان مثل هذه العمليات يجب ان تراعي السيادة والحس الديبلوماسي. لكن ترامب الذي لمح الى ان ضربة كهذه على قطر لن تحدث مجددا، لم يندد ولم ينتقد بوضوح. وهذه رسالة بالغة السوء بالنسبة لبعض الدول في الخليج وخارجه، خصوصا ان الجميع يدرك انه

من المستحيل على اسرائيل ان تشن غارة على دولة مثل قطر بوجود قاعدة العديد، المسؤولية عسكريا عن مجمل انحاء المنطقة عسكريا وتراقبها بدقة.

في كل الاحوال، فان نتنياهو المتفلت، قد يجد ضالته المقبلة في تركيا، وهو بات ينفذ غاراته بسهولة حاليا لا على غزة وحدها، وانما على لبنان وسوريا، ويهدد قطر مجددا وغيرها، بينما لا يستبعد العديد من الخبراء احتمال اشتداد التنافس الإسرائيلي - التركي على النفوذ على الاراضي السورية، في ظل التقارير التي افادت بأن العديد من الضربات الاسرائيلية على سوريا خلال الاسابيع الماضية، استهدفت مواقع وقواعد مفترضة للقوات التركية، او تعمل فيها قوات تركية في إطار خطط تطوير الجيش السوري.

مع احتدام رؤية "التهجير الطوعي" كما يروج لها الاسرائيليون، ليس من المستبعد ان تعمد اسرائيل الى قصف المعبر المصري المرتبط بغزة، لفتح الطريق عنوة امام الفلسطينيين لاجبارهم على اللجوء في ظل تمسكهم بأرضهم، وموقف القاهرة المبدئي، بفتح ابواب التهجير.

ادارة ترامب تتملص ولا ادانة اميركية لاسرائيل

ومن شأن تصرف اسرائيلي كهذا، وهو لم يعد مستبعدا الآن بعد جريمة العدوان على قطر، ان يثير مخاوف من حدوث صدام إسرائيلي - مصري، في وقت تتزايد فيه الانتقادات الاسرائيلية لمصر بسبب الحديث عن تزايد الانتشار العسكري للقوات المصرية في سيناء. يقول نتنياهو بوضوح بعد اشادته بالعملية العسكرية ضد قطر، بأنه تم توجيه رسالة واضحة لا يوجد موقع امن لحماس "مهما حاولت الاختباء". كما أكد أنه لا يستبعد شن ضربات اضافية ضد قياديي الحركة "اينما كانوا" حتى لو كانوا في دول ذات سيادة، داعيا قطر وغيرها من الدول اما الى طرد مسؤولي حماس، او ان تتحمل عواقب وجودهم على اراضيها.

من الواضح ان اسرائيل لم تعد مهتمة لا بوساطة ولا وسطاء ولا تسويات ولا وقف لاطلاق النار، وسط لا مبالاة من طرفها لا بقانون دولي ولا باتهامات ارتكاب "جرائم الحرب"، في حين يبدو نتنياهو مصمما على الوصول الى موعد "7 تشرين الاول" لصياغة صورة "انتصاره" وهو واقف على أنقاض غزة بالكامل، في ذكرى مرور عامين على "طوفان الاقصى".

نتنياهو يسبق الجميع في تطبيق ما يراه، والاخرون يتأخرون في فهم الابعاد والمدى المستعد للذهاب اليه، لانجاح ما تلخصه مجلة "فورين بوليسي" الاميركية بحسب الكاتبين الاسرائيليين، بأن القوة المفرطة الاستباقية وحدها سيدة الموقف اينما دعت الحاجة لذلك، وأن ما تسعى اليه اسرائيل اليوم هو صياغة نظام اقليمي جديد يحمي مصالحها، حتى لو تطلب ذلك منها فتح جبهات متعددة ولمدى غير منظور.

نتنياهو ساقط سياسية واخلاقيا وعالميا، وربما هنا مكمن الخطورة الاضافي، في انه، وبكل ما يحمله من عقد نفسية ونوازع مرضية في شخصيته، قد يفعل ما يحلو له، طالما انه لا يجد هناك من يضبطه، يردعه، أو يصفعه.